قال عليه السلام : «الّذي به تنزّل الملائكة في الليلة الّتي يفرق فيها كلّ أمر حكيم من : خلق ، ورزق ، وأجل ، وعمل ، وعمر ، وحياة وموت ، وعلم غيب السماوات والأرض ، والمعجزات الّتي لا تنبغي إلاّ لله وأصفيائه والسَفَرة بينه وبين خلقه ، وهم وجه الله الّذي قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[1] هم بقيّه الله يعني المهدي يأتي عند انقضاء هذه النظرة ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ومن آياته : الغيبة والإكتتام عند عموم الطغيان وحلول الإنتقام ، ولو كان هذا الأمر الّذي عرّفتك بأنّه للنّبيّ دون غيره ، لكان الخطاب يدلّ على فعل ماض ، غير دائم ولا مستقبل ، ولقال : «نزلت الملائكة» و«فرّق كلّ أمر حكيم» ولم يقل : «تنزّل الملائكة» «ويفرق فيها كلّ أمر حكيم»وقد زاد جلّ ذكره في التبيان وإثبات الحجّة بقوله ـ في أصفيائه وأوليائه عليهم السلام ـ : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ تعريفاً للخليقة قربهم ، ألا ترى أنّك تقول : «فلان إلى جنب فلان» إذا أردت أن تصف قربه منه ؟

وإنّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز الّتي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه ، لعلمه بما يحدّثه في كتابه المبدّلون من إسقاط أسماء حججه منه ، وتلبيسهم ذلك على الأُمّة ليعينوهم على باطلهم ، فأثبت به الرموز ، وأعمى قلوبهم وأبصارهم ، لما عليهم في تركها وترك غيرها ، من الخطاب الدالّ على ما أحدثوه فيه ، وجعل أهل الكتاب المقيمين به ، والعاملين بظاهره وباطنه من : شجرة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[2] ؛ اي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت ، وجعل أعدائها : أهل الشجرة الملعونة الّذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ، فأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ، ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات الّتي بيّنتُ لك تأويلها ، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه ، ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجّة على خلقه ،كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[3] أغشى أبصارهم ، وجعل على قلوبهم أكنّة عن تأمّل ذلك ، فتركوه بحاله ، وحجبوا عن تأكيد الملتبس بإبطاله ؛ فالسعداء ينبهون عليه ، والأشقياء يعمون عنه ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ثمّ إنّ الله جلّ ذكره لسعة رحمته ، ورأفته بخلقه ، وعلمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كتابه ،

---

(١) البقرة ١١٥.

(٢) إبراهيم ٢٤ـ٢٥.

(٣) الأنعام ١٤٩.

almawaddah.be